جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / اللغة العربية

المرحلة : ماجستير لغة عربية

المادة: دراسات لغوية قديمة

عنوان المحاضرة: نشأة اللغة العربية وما يتعلق بها من ظواهر لغوية

التدريسي : الأستاذ الدكتور قاسم خليل إبراهيم

نشأة اللغة العربية:

اختلف الدارسون في تحديد تاريخ نشأة اللغة العربية فمنهم حدد تاريخها بأول نقش عثر عليه مما يصحُّ نسبة كتابته الى العربية ، واخرى اهملت ذلك ومالت الى تحديدها بأول نص شعري جاهلي وصل الينا . والحق ان العربية – وهي من اللغات السامية – تختلف عن اخواتها في غموض تاريخها القديم ، فلغات اليمن وكتابات النقوش المكتشفة في النمارة وزيد وغيرهما – على قربها جميعا من العربية – لا يمكن أن تكون هي العربية المعروفة في النصوص الجاهلية .

وثمة فرق بين اللغة الشعرية واللغة النثرية فاللغة الشعرية تعود إلى طبيعة الشعر وقيود تفعيلاته وقوافيه، اذ تقل هذه الوحدة وضوحاً في النثر لعدم وجود مثل هذه القيود فيه. لذا بقيت لغة الشعر لغة فنية يقصدها معظم العرب قصد الفصاحة الذي يدل عليه البحث ان العرب في الجاهلية كانوا يعربون كلامهم رفعاً ونصباً وجراً وجزماً، وذلك بالسليقة التي فطروا عليها منذ نشأتهم في بيئة فصيحة اللسان سليمة البيان. حتى اصبح الأعراب لديهم من الملكات الراسخة، وقد انطبع حسهم اللغوي عليه، يقول ابو بكر الزبيدي : ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من اسلامها ، تبرع في نطقها بالسجية ، وتتكلم على السليقة ، حتى فتحت المدائن ومصرت الامصار، ودونت الدواوين) والى مثل هذا ذهب ابن جني ايضا .

ثمة فرق بين اللغة العالية واللغة العادية ، إذ لغتهم واسلوب الكلام فيها يختلف بحسب ضروب الكلام، فهناك لغة عالية هي لغة الادب والحكمة، وتشمل الشعر والخطب والامثال وسواها، ولغة دائرة في الكلام والتفاهم هي لغة المحادثة أو اللغة الدارجة ، التي تصور ما يدور بينهم في اجتماعاتهم ومخاطباتهم ومعاملاتهم وما يتصل بذلك ، لأن القصد في مثل هذه اللغة الأخيرة ليس البلاغة والايجاز والبيان

العالي ورائق الكلام ، بل أن هذه الخصائص يهدف اليها في الشعر والخطب وأمثالها .

وقد ذهب كثير من علمائنا الأقدمين الى ان الفصاحة في عرب الجاهلية ليست على منزلة واحدة فهناك قبائل هي في المرتبة العليا من الفصاحة ، وهناك قبائل هي اقل منها فصاحة ، ومقياس ذلك يعود إلى مواطن هذه القبائل – فالقبائل التي تسكن اواسط الجزيرة إلى شيء من جنوبيها أي بلاد العالية ، تعد فصحى قبائل العرب ، وهي قبائل الحجاز وكنانة وهذيل وغطفان وهوازن وسليم وطيء وتميم واسد وقيس ، ،. وقد اخذت قواعد العربية عند وضعها في البصرة من مراجعة لغات هذه القبائل، على اعتبار انها هي الفصحى ، ولغاتها هي الأكثر في الاستعمال ...

اما القبائل التي تسكن اطراف الجزيرة العربية فهي اقل فصاحة واضعف لساناً وقد ظهرت الرخاوة في السنتها منذ العصر الجاهلي، وذلك بسبب احتكاك هذه القبائل أو اختلاطها بالامم الاعجمية و علل اللغويون المخالفات بين الأفراد بين القبائل على أنها تعود إلى :

١–انها بقايا لغات منقرضة بقيت لوثة منها في لسان الناطق بها
٢–قيل أن بعضها جاء للمخالفة المقصودة

ظاهرة اللحن :

أختلف الدارسون في وقوعه في الجاهلية أكان لحن في هذا العصر أم لم يكن واكبر الظن أنه قد وقع شيء منه وان ذهب أكثر الدارسين ان لا لحن في الجاهلية لانهم يعدون اللحن مما ينافي الفصاحة ويعملون على توجيه هذا اللحن فيسمونه لغه شاذة او نادرة ولا شك ان امثال هذا قد ظهر كثير في

لغات القبائل التي كانت تسكن في اطراف الجزيرة العربية والتي اشرنا الى احتكاكها بما جاورها من الأمم الأعجمية.

يقول أبو بكر الزُّبيدي " فاختلط العربي بالنبطي والتقى الحجازي بالفارسي ودخل الدين اخلاق الامم وسواقط البلدان فوقع الخلل في الكلام وبدا اللحن في السنه العوام وذهب مذهب القدماء المرحوم مصطفى صادق الرفاعي من الباحثين المحدثين.

وقيل: إن اول لحن ظهر بالامصار قولهم: حيٌ على الصلاة

واول لحن سمع في البادية قولهم: سقطت عصاتي والصواب سقطت عصاي.

دور البصرة والكوفة في اللغة

كان للبصرة لموقعها الجغرافي المهم ومن كونها مركزا تجاريا يتوسط الشرق والغرب ما ساعد على نموها واتساعها بزمن قصير دور كبير في اللغة، إذ كان (المربد) وهو سوق في ظاهر البصرة من الأماكن المهمة في حياة البصرة الثقافية ، فقد اتخذه الشعراء – اضافة الى كونه سوقاً تجارية – ملتقى لهم ينشدون فيه اشعارهم ويسمعون من النقاد آراءهم ، وقد افاد منه اللغويون والرواة كثيراً وذلك للقيهم فيه الاعراب الوافدين من البادية ، واستغله اصحاب المذاهب لمناظراتهم والدعوة لعقائدهم ، إذ وجد في البصرة صراع فكري واضح بين احزاب المسلمين وقرفهم المذهبية)

وكذلك الكوفة اتسعت برواية الأشعار وأقوال العرب مقابل اتساع البصرة بدراسة الفلسفة وعلم الكلام لأن البصرة كانت مرفاً تجارياً مزدحماً بالعناصر الاجنبية، وقريباً من مدرسة (جند يسابور) التي كانت تدرس فيها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية ، وفيها – أي البصرة – مترجمون امثال (ماسرجويه) ، وابن المقفع كل

ذلك في البصرة ساعد على نضج الدراسات العقلية والفلسفية والكلامية ، التي كانت تغذيها أيضا الصراعات المذهبية بين الطوائف الإسلامية . وذلك ما تفتقر اليه الكوفة التي كانت من الناحية الجغرافية اقل اهمية من البصرة ومن الناحية الطبقية أكثر حساً بها واعمق شعوراً بالتفوق العربي، كما كانت منزل الصحابة والمحدثين الذين قصدوها من حواضر الحجاز، وسكن الرواة وأصحاب الاخبار والايام والشعراء، ولهذا غلب على درسها الاهتمام بالرواية والنقل وقل النظر في العقليات والمنطق .

ظهورالعاميات

كان من أثر هذا الاختلاط الذي أشرنا اليه وانتشار اللحن والخطأ في الألسنة نشوء لغة للتخاطب بين عامة الناس لا تتقيد الفصحى ، بل الغرض منها مجرد التفاهم فيما بينهم في شؤونهم العامة والخاصة ، وهذه اللغة الناشئة كانت اول ظهورها بطبيعة الحال اقرب الى الفصحى ثم اخذت تبتعد بالتدريج عصرا بعد عصر بحسب المؤثرات الكثيرة التي عملت في ذلك .

ويمكن ان نوجز اهم مقومات هذه اللغة وعناصرها بما يأتي :

١ – **اللحن في الألفاظ** : وهو الخطأ في الاعراب ، وهذا ما يتعلق بالنحو ، ثم الخطأ في بنية الكلمة العربية من حيث الحذف والزيادة, والتقديم والتأخير والقلب, والخطأ في تحريك اواسط الفعل الثلاثي من ضم او فتح او كسر ، وكذا الخطأ في الاسماء وضبطها ضبطاً صحيحاً

٢ – **التسكين في أواخر الكلم** : لجهل العامة بالإعراب واختلال الملكة اخذوا تسكين اواخر الكلمة تخلصاً من اعرابها .

٣- **الاختصار في الجمل** : وذلك بنحت لفظة أو لفظتين ، كأخذ حروف من هذه وتلك وتكوين لفظة أو لفظتين لاختصار الجملة ، والناس بطبيعتهم يميلون الى السرعة بالتفاهم فيختصرون في التعبير .

٤- **دخول الفاظ اعجمية في الاستعمال** : مع الالفاظ العربية ، وقد تكون هذه الالفاظ المستعملة منقولة عن اصلها الاعجمي أومحرفة وليس القصد أن تكون هذه الالفاظ قد دخلت العربية من الفارسية فحسب بل من اللغات الاعجمية الاخرى .